

## جامعة 6 أكتوبر - أول جامعة مصرية خاصة

دانييلي كاتيني

يناير 2015

أُنشئت جامعة 6 أكتوبر سنة 1999 في مدينة السادس من أكتوبر، في أطراف القاهرة. يتجاوز عدد طلابها أعداد الطلاب في أي من الجامعات الخاصة في البلاد، فقد سجل حوالي 12،000 طالب في العام الدراسي 2009\2010 في الكليات الأربع عشرة لجامعة 6 أكتوبر في ميادين الطب والعلم والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. وتملك الجامعة مستشفى لكلية الطب، وفندقاً لكلية إدارة الفنادق والسياحة، ومكتبة، وتخدم هذه المنشآت الثلاث أيضاً احتياجات سكان مدينة السادس من أكتوبر، معززةً بالتالي علاقات الجامعة مع الجماعة المحلية.

إن بعض البرامج التي تقدمها جامعة 6 أكتوبر، كمثال علم الاقتصاد والعلم الاجتماعي والتربية واللغات فريدة بين الجامعات الخاصة في مصر. إن هذه الفروع غير موجودة في أمكنة أخرى لأنها لا تُعتبر عملية جداً وتساعد في العثور على وظيفة مستقبلية. ويُعدُّ العثور على وظيفة بشكل أكثر سهولة بعد التخرج إحدى الفوائد الرئيسية لتعليم الجامعة الخاصة. ومن الفوائد الأخرى حرية اختيار المرء برنامجه الخاص بالدراسة (على عكس الوضع في الجامعات العامة حيث نسب القبول للبرامج المختلفة مفروضة)، وبيروقراطية أخف، وأحجام صفوف صغيرة، وعلاقات جيدة بين الأساتذة والطلاب، وصلات جيدة داخل الكلية.

يدير جامعة 6 أكتوبر مجلس أوصياء أعضاؤه عادة ممثلو مصارف وشركات خاصة. إن محافظ مدينة 6 أكتوبر هو أيضاً عضو في المجلس. ويتعامل المجلس مع مسائل تمويل الجامعة والعلاقات مع الحكومة. هناك هيئة إدارية أخرى لمسائل تتعلق بالحياة الجامعية هي مجلس الجامعة؛ يرأسه رئيس جامعة 6 أكتوبر وتتألف عضويته

من عمداء الكليات ونواب الرئيس. ولا يشارك ممثلو الطلاب والمدرسون والموظفون في إدارة الجامعة. ولا يتخذ قرار واحد مهم على مستوى الهيئة التدريسية، بالتالي هذا يجعل البنية الإدارية لجامعة 6 أكتوبر مركزية وهرمية. فضلاً عن ذلك، إن وزارة التعليم العالي المصرية، التي تملك سلطة قضائية على الجامعات الخاصة، تنظم جميع المظاهر تقريباً من التنظيم الداخلي لجامعة 6 أكتوبر كمثل عدد الطلاب المقبولين، والتغييرات في المنهاج، وتوفير الدراسات العليا (المسألة الثانية رئيسية للجامعات الخاصة بما أنه من غير المسموح لها أن تقدم برامج دراسات عليا). ويستطيع المرء القول إن هذه البنية التراتبية تشجع على ممارسات السيطرة في تنظيم الجامعة وإدارتها.

إن عبء العمل الذي يقع على عاتق أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة 6 أكتوبر أكبر بكثير مما هو الأمر في الجامعات العامة لأنه يوجد عدد أقل من الموظفين في جامعة 6 أكتوبر والمقررات التعليمية هي أكثر نسيباً، لكن هذا يعوّض بساعات عمل أقل ورواتب أعلى. هناك بضعة أساتذة متفرغين في جامعة 6 أكتوبر والحصة الأكبر من التدريس يقوم بها محاضرون ومساعدو محاضرين يعملون على أساس عقد يُجَدَّد سنوياً. إن تقييمات التدريس هي أحد المعايير الرئيسية لتجديد العقد. إن بعض إجراءات التجديد هي داخلية بالنسبة لجامعة 6 أكتوبر، لكن هناك إجراءات أخرى مصممة للاستجابة لإصلاحات عامة أكثر تهدف إلى تحسين جودة مؤسسات التعليم العالي في البلاد. وتم إنشاء لجان جودة يرأسها كبار الأساتذة في كل الكليات. أما المعايير الرئيسية للتقييمات الجيدة فهي أن يكون المدرّس متعاوناً، ويحقق النجاح في التعليم، ويزيد من مشاركة الطلاب داخل وخارج الصف. إن مسائل الرقابة في جامعة 6 أكتوبر متكررة وتقريباً جميع من يعملون هناك يمارسون، سواء وعوا ذلك أم لا، درجة عالية من الرقابة على الذات من أجل تجنب المشاكل مع الطلاب والزملاء أو الإدارة.

إن طلاب جامعة 6 أكتوبر هم من خلفيات اجتماعية وقومية مختلفة. أحياناً تكون العلاقات بين الطلاب المصريين والأجانب مسببة للتوترات والمواجهات. إن الجامعة خاضعة لرقابة صارمة، فالحراس يقومون بدوريات في أراضي الجامعة، وفي داخل الأبنية أيضاً، وتغلق الجامعة أبوابها في الساعة الرابعة وهكذا تمنع الطلاب من

التجمع في الجامعة. وعمومًا، إن أي صيغة من النشاط السياسي في الجامعة ممنوعة رسميًا. ويرى البعض هذا كطريقة لمنع الصراع بين جماعات طلابية مختلفة. لم تشارك جامعة 6 أكتوبر كمؤسسة في ثورة 2011 في مصر، لكن كثيرًا من الطلاب والمدرسين الأصغر في السن شاركوا في الانتفاضة فريدًا. وبعد الثورة (وأثناء المرحلة الثانية البحث من هذه الدراسة)، كان العمل في هذه الجامعة كالمعتاد بدون إشارات مرئية بأن الثورة قد حدثت. وقد حدثت بعض التغييرات على مستوى تمثيل الطلاب، إذ ما يزال الطلاب غير قادرين على تشكيل الأحزاب السياسية، ولا يستطيعون المشاركة في إدارة الجامعة، لكنهم يستطيعون انتخاب ممثلي كل كلية كي يعلموا كوسطاء بين الطلاب والعميد بخصوص مظالم يتعرض لها الطلاب، أو مقترحات من أجل أنشطة ثقافية واجتماعية. لكن بالمجمل، لم تسبب الثورة أية تغييرات رئيسية في جامعة 6 أكتوبر.

إن المصدر الرئيسي لتمويل الجامعة هي الرسوم التعليمية والأرباح المولدة من أنشطة إضافية مثل المشاريع الفنية التي يقوم بها لمدينة السادس من أكتوبر الطلاب في كلية الفنون التطبيقية. إن الحكومة المركزية لا تمول الجامعة، وفي الحقيقة ترفع الضرائب على الأنشطة الاقتصادية المختلفة التي تولدها جامعة 6 أكتوبر؛ وتحد أيضًا من القبول في بعض الكليات، مثل كلية الطب. إن أرقام التسجيل العالية يمكن أن تشرحها الرسوم التعليمية غير الغالية نسبيًا. وعلى أي حال، كان التسجيل ينخفض منذ وصوله إلى القمة في السنة الأكاديمية 2002\2003، بينما في الوقت نفسه حدث ارتفاع هائل في عدد الجامعات الخاصة في مصر وأمثلة أخرى في المنطقة ويوجد تنافس حاد بينها على المستويين المحلي والإقليمي. وتشعر إدارة جامعة 6 أكتوبر بضغط متزايد لإبقاء الجامعة رابحة دون أن تنقص بشكل حاد من الخدمات وتخسر الطلاب.

وكي تبقى منافسة، تقوم بعض الكليات بخفض الرسوم التعليمية. وتقوم جامعة 6 أكتوبر أيضًا بتوليد عمليات تعاون مع جامعات في شرق آسيا وأوروبا والولايات المتحدة كي تجذب المزيد من الطلاب من خلال تقديم "تجربة عالمية" لهم. من الطرق الأخرى التي تتبعها الجامعة كي تدعم موقفها كمؤسسة محلية مهمة هي روابطها الاجتماعية والاقتصادية مع جماعة المدينة والحكومة. وبالإضافة إلى الأواصر

التي نشأت من خلال المستشفى و الفندق والمكتبة التابعين لها، كانت الجامعة ذكية في تصوير نفسها على أنها الشركة الأكبر في المدينة التي توظف أكثر من ألف شخص. وهناك خطة لتحويل المنطقة التي تقع فيها جامعة 6 أكتوبر إلى جماعة سكنية مترفة، وتستهدف جذب النخبة القاهرية. بالتالي، إن جامعة 6 أكتوبر جزء من مشروع تطوير مصمم لإعادة صياغة القاهرة ومحيطها في العقود التالية.

بناء على ذلك، يستطيع المرء القول إن جامعة 6 أكتوبر هي جوهرياً مشروع أعمال يركز على الفوز في التنافس مع جامعات خاصة أخرى. وتشكل هذه الجامعة مثلاً يوضح الانتقال نحو نموذج شركاتي للجامعات، وهذه ظاهرة ليست مقتصرة على مصر، لكن يجب أن تُحلل في سياق العولمة والسياسات الاقتصادية النيوليبرالية. فضلاً عن ذلك، إن السمة الخاصة لجامعة 6 أكتوبر يجب أن تُفهم أيضاً في سياق محليتها وفي علاقتها مع الدولة المصرية. والجامعة في الوقت نفسه مؤسسة خاصة هدفها الربح في حقل التعليم العالي، وأداة لتخطيط الدولة في المناطق الجديدة التي سُنّى حول مدينة القاهرة المكتظة. إن هذه المناطق الجديدة ستكتسب معاني جديدة وفقاً لنموذج "الجماعات المسورة" حيث كل شيء - بما فيه المعرفة - هو من أجل الربح.